

حكاية صورة..

حين كانت التحية تكفي

لمشاريع الآخرين الذين ارادوا للجنوبيين ان يصبحوا مجرد تفصيل فيما هم وحدهم من يدفعون الثمن ؟ لكن الجنوب ليس تفصيلا واهله ليسوا الوانا متصارعة على خريطة . ولم يكن الجنوبيون يوما بعيدين عن الدفاع عن أرضهم؛ فمنذ عام 1948، حين بدأ الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، دفع الجنوب اللبناني وأهله أثماناً متواصلة من الاعتداءات والتهجير والخسائر، وبقي الدفاع عن الأرض والتمسك بها جزءاً من ذاكرته ووجوده لا ورقة في حسابات الآخرين.

ما نخشاه اليوم ليس فقط أن تُهدم البيوت، بل أن تُهدم معها الذاكرة التي كانت تقول إننا نستطيع أن نعيش معاً لأن الحرب لا تنتهي عندما تصمت المدافع فقط ، تنتهي عندما يعود الانسان الى الانسان وعندما يصبح الاختلاف امرا طبيعيا ، لا تهمة .

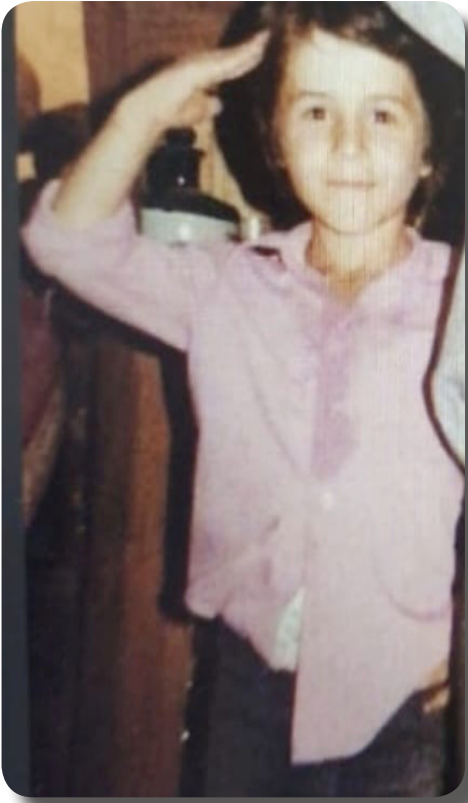
الى جنود السلام الذين لم يكونوا عابرين في ذاكرة الجنوب نقول شكرا لانكم كنتم في زمن الخوف وجها من وجوه السلام نحتاجه وما زلنا نحتاجه اكثر من اي يوم مضى .. قد تنتهي مهمة لكن ما تركتموه لا يغادرنا لكم التحية بالامتنان والبقاء وسلام لا ينتهي ..

* صحافية لبنانية

وحاصبيا وشعبا والجديدة وابل السقي.. جئنا في كل صباح إلى صروحها التربوية الراسخة تجمعنا مقاعد الدراسة ، في مدرسة " راهبات القليلين الاقدسين " لم نسال يوماً من أي بلدة جاء هذا أو ذاك ولا عن دين المعلم أو طائفته ، كنا نعرف بعضنا بالوجه والاسم والحكاية. كانت بلدات الجنوب، تعرف معنى أن يكون الاختلاف جزءاً من الحياة لا سبباً للخصومة وفي القرية المختلطة، كانت الكنيسة والجامع جزءاً من المشهد نفسه، وكانت المناسبات تجمع الناس، لا تفرقهم ، كانت هناك مساحة للحياة قبل أن تصبح الهويات وقوداً للحروب.. وكان جنود السلام جزء من هذه الصورة ويعرفون أن السلام الذي جاءوا من أجله ليس كلمة تُكتب في وثيقة.

واليوم امام التحولات التي يعيشها الجنوب وامام الحديث عن نهاية ولايتهم ومغادرتهم ، عن اي جنوب تغيرت ملامحه نتحدث وصار من يحمل فيه راية السلام موضع خلاف وعدا ؟ ليس السؤال : من يريدهم ومن لا يريدهم ؟ ومن أرادهم وقوداً ومن هاجمهم، ومن اعتبر وجودهم عبئاً أو تهديداً؟

السؤال : اي جنوب نريد ؟ والاحتلال يتربص بنا ، اي جنوب عبث به المسميات واضحى ساحة



وجدران اختفت .

في ساحة مرجعيون التقينا من الخيام وكفر كلا

كان اصحاب القبعات الزرقاء بالنسبة إلى كثير من أبناء الجنوب نافذة صغيرة على العالم، وبصيص أمل في زمن كان الاحتلال الإسرائيلي حاضراً في ما سمي الحزام الأمني، وكانت الحياة محاصرة بالخوف والقلق والانتظار ولم تكن مهمتهم، في نظر الناس مجرد نقاط مراقبة أو دوريات أو تنفيذ مهام أممية رسمية ، قاموا بمشاريع وخدمات دعمت أهل الجنوب، ولا سيما في المجالات الزراعية والإنمائية والاجتماعية، وساهموا حيث استطاعوا في مساعدة الأهالي وتحسين ظروف حياتهم، لقد تركوا أثراً إنسانياً لا تستطيع البيانات العسكرية أن تصفه .

وعندما كان موعد عودة بعضهم إلى بلادهم يقترب كانوا يلتقطون الصور مع الأهالي، كأنهم يعرفون أن الرحيل ليس مجرد انتهاء مهمة بل فراق أصدقاء وبيوت وأمكنة أصبحت جزءاً من حياتهم لهذا كانت التحية في تلك الصورة أكثر من حركة يد طفلة ، كانت تحية محبة ، تحية من جنوب كان يعرف كيف يفتح بابه للآخر، وكيف يرى في الإنسان إنساناً قبل أن يسأله من أين أتى ؟ واليوم، حين أعود إلى الصورة بعد أكثر من أربعين عاماً، احقد في مكان لم يعد كما كان ، احقد في بيت تهدم

هلا سلامة*
كنتُ يومها طفلة لا أعرف من السياسة شيئاً، ولا أعرف خرائط النفوذ ولا حسابات الدول كنت أعيش كما يعيش الأطفال على سجيّتنا، بقلوب مفتوحة، وببراءة لا تسأل الإنسان عن طائفته ولا عن وطنه ولا عن الجهة التي جاء منها.

في تلك الصورة، أقف وأرفع التحية لجندي من جنود حفظ السلام التابعين للأمم المتحدة. لم أكن أعرف يومها أنني أحيي رجلاً سيبقى جزءاً من ذاكرتي ولا أن تلك اللحظة الصغيرة ستتحول بعد أكثر من أربعين عاماً إلى شهادة على زمن كامل .

كان جنود اليونيفيل يومها يعيشون بين أهل الجنوب، في القرى والبلدات الحدودية ، لم يكونوا زواراً عابرين كانوا جزءاً من تفاصيل الحياة اليومية ، نراهم في الطرقات، في الساحات، في المناسبات، وفي البيوت أحياناً ، أكلوا من طعام أهلنا، وشربوا قهوتهم، وتبادلوا معهم الأحاديث، ونسجوا صداقات وعلاقات امتدت لسنوات طويلة، حتى أصبح بعضهم، مع مرور الزمن، من أهل تلك القرى، وامتدت بعض العلاقات إلى المصاهرة والنسب .

اختراع العزلة... حين

تصبح الكتابة بيتاً للغياب

وهو الكتاب الذي افتتح به بول أوستر مسيرته النثرية، وكتبه إثر وفاة والده المفاجئة. وهو عمل هجين يجمع بين السيرة الذاتية والتأمل الفلسفي والكتابة الأدبية، وينقسم إلى قسمين: «صورة رجل غير مرئي» و*«كتاب الذاكرة»*.

لا يكتب أوستر عن الموت، بل يكتب عمّا يتركه الموت خلفه.

لحظة واحدة كانت كافية ليتحوّل الأب إلى ذاكرة، ولتتحول الذاكرة إلى كتاب. هكذا ولّد «اختراع العزلة»؛ ليس بوصفه رثاءً للأب، ولا محاولة لتسجيل سيرة عائلية، وإنما باعتباره رحلة شاقة في البحث عن الإنسان الذي يختفي مرتين: مرة حين يموت، ومرة حين يعجز الآخرون عن تذكره.

كان الأب حاضراً في الحياة وغائباً عنها في الوقت نفسه. رجلاً يصعب الإمساك به، قليل الكلام، شديد التحفظ، حتى بدا لابنه بعد موته أكثر غموضاً مما كان عليه وهو حي. لذلك لم يكتب أوستر ليودعه، بل ليقرب منه للمرة الأولى. فالكثابة هنا ليست ترفاً أدبياً، وإنما وسيلة وحيدة لمقاومة الفراغ الذي يتركه الغياب.

في القسم الأول، «صورة رجل غير مرئي»، يحاول أوستر أن يعيد بناء صورة والده من شذرات الذاكرة والوثائق والأشياء الصامتة. أما في «كتاب الذاكرة»، فإن الأب يغدو نقطة انطلاق لتأملات أوسع في الزمن واللغة والهوية والعلاقة المعقدة بين الآباء والأبناء، حتى يصبح الكتاب كله سؤالاً طويلاً عن معنى أن يتذكر الإنسان، وعن قدرة الكتابة على إنقاذ ما يتآكل في الذاكرة.

ما يميز هذا العمل أنه لا يمنح القارئ يقيناً واحداً. إنه يتركه في مواجهة أسئلته الخاصة. فكل من يقرأ «اختراع العزلة» يعثر، بطريقة أو بأخرى، على أبيه، أو على ابنه، أو على نفسه. وهذا ما يجعل الكتاب يتجاوز حدود السيرة الذاتية ليصبح تجربة إنسانية خالصة.

في ترجمة الشاعر سامر أبو هوش، يصل صوت أوستر إلى العربية محافظاً على هدوئه وتأمله، بينما يواصل الناشر الشاعر خالد سليمان الناصري رهبانه على الكتب التي لا تُقرأ مرة واحدة، بل تعود لتقرأها في كل مرة تعود إليها.

ربما لا يهزم الأدب الموت، لكنه يمنحه لغة. وهذه، في النهاية، هي معجزة بول أوستر في «اختراع العزلة»: أن يحول الفقد إلى معرفة، والغياب إلى حضور، والذاكرة إلى وطن أخير لا يستطيع الموت أن يصادره.

فضاء تتجاور فيه الفلسفة والشعر والفكر في رسائل بين ندى الحاج وفريد الزاهي

"لا تنتظر ساعي البريد".. أنسي الحاج يتشكل بين ذاكرتين



فريد الزاهي



ندى الحاج

الذات. وهذا تحديدا ما يجعل الزاهي طرفا ضروريا في الكتاب: إنه لا يرد على ندى، بل يعيد صياغة أسئلتها. فإذا كانت الحاج تنطلق من التجربة لكي تصل إلى الفكر، فإن الزاهي كثيرا ما ينطلق من الفكر لكي يعود إلى التجربة، وبين الاتجاهين تنشأ حركة الكتاب كلها.

إن رسائل الزاهي تؤدي في الكتاب وظيفة "المرأة النقدية". لكنها ليست امرأة تعكس ندى كما هي؛ إنها امرأة تغير زاوية النظر إليها وإلى الأسئلة التي تثيرها. ولعل هذه الازدواجية هي التي تمنع الكتاب من التحول إلى سيرة وجدانية صائرا سؤالاً أدبيا وفكريا يهتم القارئ أينما كان.

ولا بد في هذا السياق من الإشارة إلى أن الزاهي ليس "المخاطب" في هذه المراسلات فحسب؛ إنه "القارئ الأول الذي يشارك في صناعة النص". فمن خلاله تنتقل رسائل ندى من حميمية المراسلة إلى أدبية الحوار، ومن الاعتراف الشخصي إلى التفكير في الشعر والكتابة والذاكرة والموت. فالزاهي الآتي من خارج ذاكرة ندى العائلية، يستطيع أن يرى ما تعجز الذاكرة الحميمة أحيانا عن رؤيته. لذا يصبح شاهدا وقارئا ورفيقا في إعادة بناء المعنى. ولعله في قراءته لما تقوله ندى، يعيد السؤال إليها في صورة أخرى أو حركة متبادلة تمنح الكتاب حيويته، بحيث يصبح حوارا يتسع كلما اختلف الصوتان. ومن الخاص إلى العام يمتد الكتاب نحو لبنان. وطن ندى الحاضر هنا كذاكرة وجرح وتجربة عيش. الأزمة اللبنانية، وانهار الحياة العامة، والشباب الذين يحاولون مواصلة حياتهم وسط الانهيار، كلها تدخل في نسج المراسلات. الكتابة تصبح مقاومة لفقدان المعنى؛ وحين يهدد الواقع بتفكيك الحياة، تستعيد الرسالة قدرتها على بناء علاقة وذاكرة وصوت للبنان الذي يظهر في هذه الصفحات كوطن محبوب ومجروح في آن، والذي تصعب مغادرته حتى حين يصبح العيش فيه امتحانا يوميا عسيراً. تتبع جذابة الكتاب الأدبية من صعوبة وضعه في خانة واحدة. هو رسائل، وتأملات، واعتراقات، وحوار فكري، ونص شعري موزع بين صوتين يفتحان جسورا بين لبنان والمغرب، وبين الشعر والموسيقى والترجمة، وبين التراث والحداثة، والحوار الديني والتجربة الصوفية، والعيش المشترك والعبور بين الثقافات. قيمته في جعله الفكر يحدث أمانا كتجربة حية لا تنتهي عند صفحاته الأخيرة. ذلك أن الحوار الحقيقي يبدأ حين يصمت كاتبنا الرسائل، ويترك للقارئ فسحة يواصل فيها التفكير، ليكتشف أن الكتابة متصلة بالحياة اتصالا عميقا، وأنها إحدى الوسائل التي يعيد الإنسان من خلالها صياغة علاقته بذاته، وبالأخر، وبالماضي: متجذرا في ما وراءه، وممتدا نحو ما ينتظره، وساعيا إلى آفاق فكرية لا حد لها.

* كاتبة لبنانية

عن "الشرق الأوسط"

تجربته المغربية، والقراءة والكتابة والترجمة، وعلاقته بلبنان وبالتراث العربي. ففي رسالته "خط وقدر"، يستعيد تاريخ علاقته بالورق والقلم، ثم ينتقل إلى القرن، وإلى بدايات وعيه باللغة والحفظ وإلى تجربته مع الكتابة اليدوية والصحافة والترجمة. هذه الاستطرادات ليست خارج موضوع المراسلة، إنها تكشف شيئا جوهريا: الزاهي لا يفسر تجربة ندى من الخارج، بل يضع سيرته وتجربته الخاصة إزاء تجربتها، فيصبح الحوار تبادلا للسيرتين. ندى تتحدث عن الذاكرة، فيستدعي الزاهي ذاكرته كما في "جنوح نحو القصيدة"؛ تتحدث عن الأب، فيستعيد هو أباه الأمي وسيرته وطفولته وأبائه الثقافيين؛ تتحدث عن الكتابة في "حرية وخفة"، فيعود إلى تاريخ كتابته وقراءاته؛ تتحدث عن لبنان وبيروت والتجاور والتعايش الديني، فيعود إلى المغرب ومدنه ومساجده ومواقعه وأديرته المسيحية ومكتباتها العامرة زمن الوجود الفرنسي وانفتاحها على الآخر كما في رسالته حول "التجاور الديني"، التي يقرأ فيها فضاء المغرب التاريخي والثقافي والديني، مستعيدا علاقته بالتراث المسيحي، ليصل إلى فكرة أعمق عن التعدد والحوار. وفي المقابل تستجيب ندى لهذه الرؤية من موقعها اللبناني، فيصبح المغرب ولبنان تجربتين مختلفتين لكنهما تلتقيان في سؤال التعدد والتعايش والذاكرة، وتتحدث عن الروحانية والتوق إليها، فيدخل معها إلى نصوص وحكم محي الدين بن عربي، وترد ندى محدثة إياه عن تألفها مع روح القرن، وقد أتبع لها قراءته وحضور حلقات ذكر للشيخ النقشبيني محمد هشام قباني، فيحدثها الزاهي عن قراءاته للكتاب المقدس وتعاليمه وتأثيرها على بعض من تحول إليها. وهكذا لا تسير الرسائل في خط مستقيم من سؤال إلى جواب، وإنما في "دوائر متراكبة"، كأن تفتح كل رسالة بابا لا يغلقه رد الزاهي بقدر ما يفتح بابا آخر يزرخ بشتى أنواع المعارف، معرجا على أسماء أدباء وفنانين كبار تأثروا بالثقافة المغربية الأصلية التي فنتت "العالم والمقيم"، وغدت "منبعا لمتخيل أدبي وبصري لا ينضب". وتتناول الرسائل أيضا موضوعات الجفاف والمطر والتقنيات الرقمية وتدويناتها النرجسية وتجارب الفنانين الكبار كبول كلي وماتيس وثقافته الفلسفية والكتابة السيرية والصمت والحب الذي يربطه الزاهي باللغة والزمن والوجود. ففي رسالة بعنوان "الحب الجارف" يقارب الزاهي الحب كقوة تتجاوز إمكانية امتلاكها أو تحديدها، فيصله بالحياة وبالعلاقة بالأخر، ثم يجد له أفقا صوفيا في قراءة ابن عربي الذي يفتح أمام ندى صورة أخرى للأبوة: أبوة روحية وثقافية تكتسب بالاختيار والقراءة، لا بالدم. فإذا كان أنسي الحاج هو الأب الذي جاءت به الحياة، فإن ابن عربي واحد من الآباء الذين اختارهم الروح. هكذا يتسع مفهوم النسب، نسب الجسد، ونسب الشعر، ونسب الفكر الذي يخرج علاقة ندى بأبيها من حدود العائلة إلى فضاء أوسع تتداخل فيه القراءة والتلمذة والبحث عن

مارلين كنعان*

ليس كتاب "لا تنتظر ساعي البريد! رسائل بين ندى أنسي الحاج وفريد الزاهي" الصادر حديثا في بيروت (دار نلسن - 2026) مجرد مجموعة رسائل متبادلة بين شاعرة لبنانية وكاتب مغربي، نشأت بينهما صداقة أدبية بدأت من القراءة قبل أن تتحول إلى مراسلة، وتغذت على ما كتب الزاهي وترجم، ولا سيما ترجمته لكتابي المستشرق الفرنسي هنري كوربان "الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي"، و"مقدمة لمؤلفات شهاب الدين السهروردي الفلسفية والصوفية".

فمثل هذه القراءة، على الرغم من وجاهتها، فتوت البنية العميقة للكتاب. إذ خلف الصداقة التي تنمو بين بيروت والمغرب، ثمة شخصية ثالثة لا تكتب رسالة واحدة فيه، ولا تظهر كموضوع مباشر، لكنها حاضرة في تكوينه، عنيت شخصية الأب والصحافي والشاعر الغائب، أنسي الحاج، "موطن ندى"، على حد قول الزاهي، الذي جعله الرحيل أكثر حضورا، وربما أكثر استعصاء على الغياب.

ندى الحاج

تبدأ الحكاية، إذا، من علاقة ابنة بأبيها، لكنها سرعان ما تتجاوز حدود السيرة العائلية، لتطرح سؤال الوجود وجمال المعرفة واللغة والأدب والموسيقى والترجمة والكلمات والتصوف والحقيقة والروح والجسد والحرب والموت والأديان والكتابة والقراءة الورقية في زمن التقنيات الرقمية، ودور المقهى والصحافة واللقاء الثقافي في تشكيل الذاكرة الأدبية وغيرها من أسئلة الحياة. لذلك تبدو الرسائل في هذا الكتاب ذات وجهين متكاملين: رسائل توجه إلى فريد الزاهي، وردود تخرج عن "المسالك المعبدة للكتابة"، تخلق في فضاء رحب تتجاور فيه الفلسفة والشعر والفكر، وتتداخل فيه التجربة الإنسانية مع التأمل في الأسئلة الوجودية الأعمق، مستعيدة بذلك تقليدا أصيلا في الحوار، يعود إلى قرون بعيدة مع رسائل سينيكا إلى لوقيليوس ورسائل أبيقور إلى تلاميذه ومريديه، ورسائل شيشرون إلى أتيكوس، وديكارث ولوك، وروسو وديدرو، وفولبير وجورج صاند، وصولا إلى رسائل ألبير كامو وماريا كاساريس وسواهم، التي تجاوزت وظيفتها التواصلية صائرة "وسيطا للتفكير" واستكشاف الذات في حوار غير متزامن يتجاور فيه الحضور والغياب. منذ الصفحات الأولى للكتاب يتبين أن الرسائل لا تنشأ من فراغ، إنها تأتي من تاريخ من الشعر والكتابة والذاكرة، ومن علاقة طويلة بين ندى وإرث أبيها. لكن الزاهي لا يكتفي بمجاعة ندى في استدعاء أنسي الحاج. لعله يعيد قراءة تجربتها في إعادة تركيب لما تفتحه الرسائل من أفق تأملي وثقافي واسع. ولهذا فإن الحوار معه لا يمكن فصله عن السؤال الآتي: ماذا تفعل الابنة حين يكون الأب شخصا تحبه، وكاتب وشاعرا سبقها إلى اللغة، واسما صار جزءا من هويتها الأدبية؟ هنا تحديدا تتجاوز الرسائل بعدها الشخصي لتصبح نصا عن الميراث الشعري، والأبوة، والغياب، وفعل الحب، وتكون الذات والنسب الأدبي. ومنذ الرد الأول على رسالة "سفر المرايا"، يلتقط الزاهي ما يتصل بالكتابة والشعر والنقد والترجمة والدين والرمزية، ليفتح فضاء مشتركا للشعر والفكر، مؤكدا أن الكتابة الحقيقية تكشف واكتشاف، وأن النص حين يكون حيا يتحول من "شريك" إلى "فكر"، ومن تجربة فردية إلى معرفة. والأهم أن الزاهي لا يقرأ ندى بمعزل عن أبيها. فهو يعرف الحاج من داخل تجربته الثقافية، ويعرف موقعه في المشهد الشعري والفكري العربي. فإذا كانت ندى تملك الذاكرة الحميمة، فإن الزاهي يملك ذاكرة القارئ. وبين الذاكرتين يتشكل أنسي الحاج الذي لا يعود شخصية أحادية. إنه الأب الذي عاش في البيت، والشاعر الذي عاش في اللغة، والاسم الذي ترك أثرا في جيل كامل من الشعراء والكتاب. ولذلك فإن رسائل الزاهي تبدو أحيانا وكأنها تحاول أن تحمي ندى من اختزال نفسها في نسبها الأدبي، دافعا الحوار باتجاه ما فعلته الابنة بهذا الإرث وخطواتها على طريق الاستقلال عنه. وتتجلى شخصية الزاهي بصورة أوضح في رسائله التي تتناول